الفصل الثانى

مصر فى العصر البيزنطى

كما ذكرنا في الفصل السابق أن مصر أصبحت ولاية رومانية عام 30ق.م.، وظلت مصر معروفة بأنها ولاية رومانية حتى تحولت إلى ولاية بيزنطية في عصر الإمبراطور قسطنطين العظيم الذي قام ببناء العاصمة الجديدة للإمبراطورية الرومانية الشرقية والتي عرفت باسم (بيزنطة – القسطنطينية) وأصبحت مصر ولاية بيزنطية منذ ذلك التاريخ (306–337م) وهي فترة حكم قسطنطين، حتى جاء الفتح العربي الإسلامي لمصر على يد عمرو بن العاص عام 641م وانتقل حكم مصر بذلك من البيزنطيين وإمبراطورهم (هرقل) إلى المسلمين.

لم تختلف مظاهر الحياة في مصر البيزنطية عنها في مصر الرومانية كثيرًا، فالاضطهاد الروماني للمصريين ظل كما هو، ولم يلمس المصريون أي تغير في سياسة الحكم نحوهم، وظل الشعب

المصري مهمشًا مضطهدًا لا ينال أبسط الحقوق التي يجب أن يتمتع بها الإنسان لا المواطن حتى.

وهنا سؤال يطرح نفسه !!

بما أن اضطهاد الرومان للمصريين كان اضطهادا دينيًا، حيث ترك المصريين الديانات الوثنية وتقديس الإمبراطور الروماني، واعتنق معظم شعب مصر في هذا الوقت الديانة المسيحية.

اذن، لماذا استمر الروم البيزنطيين في اضطهاد الشعب المصري (الأقباط) رغم اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية ديانة معترف بها داخل حدود الدولة ؟

الإجابة وباختصار هي أن اضطهاد الروم للأقباط تحول من اضطهاد ديني في العصر الروماني إلى اضطهاد مذهبي في العصر البيزنطي، حيث اعتقد الأقباط في مذهب مسيحي مختلف عن المذهب الذي اعتنقه الإمبراطور وكهنته، وفرضوا مذهبهم على الرعية، فكان ذلك كفيلًا لاستمرار الاضطهاد الذي عانى منه الأقباط على يد الروم سواء كان في العصر الروماني، أو في العصر البيزنطي.

• النظام الإداري في مصر في العصر البيزنطي:

وفقا لاصلاحات دقلديانوس، أصبحت مصر ولاية تابعة لدوقية

الشرق التي كان يحكمها كونت الشرق، وقد قسمت مصر من الناحية الإدارية زمن دقلديانوس إلى ثلاثة اقاليم، هي:

1. شرق الدلتا ومصر الوسطى
2. طيبة
3. غرب الدلتا والإسكندرية

وكان يحكم الإقليمين الأولين حاكمين اتخذ كل منهما لقب (برايسس praeses).

أما الإقليم الثالث (الإسكندرية) فوضع تحت امرة حاكم يحمل لقب والي مصر (prafecjus aegypti)، ويتمتع بسلطة أعلى من سلطة زميليه، هذا ويخضع الحكام الثلاثة لسلطة كونت الشرق، ويتولى هؤلاء الحكام الثلاثة السلطة المدنية، أما السلطة العسكرية فقد تولاها قائد يحمل لقب (دوق مصرDuxa Egypti)[1]

وظل هذا التنظيم الاداري ساري في عهد الإمبراطور قسطنطين العظيم الذي سار عليه هو ومن بعده من الأباطرة البيزنطيين مع إدخال اصلاحات طفيفة.

ويتضح من الدراسة أن كل التنظيمات التي قام بها الأباطرة الرومان أو البيزنطيين، سواء كانت تنظيمات ادارية أو عسكرية أو مالية أو غيرها، يتضح عدة نقاط مهمة، وهي:

1- تاريخ مصر في العصر البيزنطي – د.ليلى عبد الجواد –ص87

1. أهمية مصر للروم وغيرهم من الناحية الاستراتيجية والعسكرية، لذلك كان لابد من وضع نظامًا اداريًا يحكم من خلاله السيطرة التامة على البلاد.
2. كل التنظيمات التي قاموا بها على كل المستويات هدفت إلى استغلال واستنزاف كل موارد مصر لصالحهم.
3. أرهق الشعب المصري إرهاقًا بالغًا في دفعه للضرائب الظالمة والغير مبررة في أحيان كثيرة، وكذلك في طرق جبايتها.
4. عانى الشعب المصري في ظل حكم الروم من الاضطهاد الديني والذي تحول إلى اضطهاد مذهبي في العصر البيزنطي.
5. منع الشعب المصري من مجرد الاشتراك في حكم بلاده.
6. تمتع اليونان واليهود في مصر بامتيازات لم تمنح للمصريين الذين حرموا من أقل حقوقهم.

كل هذا وأكثر جعل الشعب المصري يطمح إلى التخلص من هذا المستعمر الغاصب الذي استنزف موارد البلاد، وسرق أقوات العباد، وأذاقهم مر الاضطهاد، فرحب المصريون بالمسلمين الفاتحين الذين جاءوا من الشرق، بل وقدموا له كل العون، حتى تمكن القائد المسلم عمرو بن العاص من فتح مصر والانتصار على الروم عام 641م.

ليبدأ عصر جديد في تاريخ مصر، وهو الأزهى والأهم، ألا وهو تاريخ مصر في عصر الدولة الإسلامية.